

٥٤ - وجوب الخوف من الذنوب.

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

أيها المؤمنون اتقوا الله، وذروا ظاهر الإثم وباطنه، فإن الذنوب والآثام أصل كلِّ بلاءٍ، ومصدر كلِّ فتنَةٍ، وسبب كلِّ فسادٍ في البرِّ أو البحرِ، كما قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١)، فكلُّ بلاءٍ وحادثَةٍ، وكلُّ فتنَةٍ وكارثةٍ، وكلُّ تغْيِيرٍ في أحوالِ الناسِ، فبسببِ ذنوبِهِم وما كسبت أيديهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢).

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وأقلِّعوا عن الذنوبِ والمعاصي، واحذروا مكرَ الله تعالى، فإن مكرَ الله بأعدائه شديدٌ، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا

(١) سورة الروم: ٤١.

(٢) سورة المشورى: ٣٠.

هُم بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ ، وقال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * وَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢) .

أيها المؤمنون.

إن مما يؤكد وجوب الخوف من الذنوب والمعاصي والحذر من عاقبتها وشؤم مآلها أن الله تعالى قد أهلك أُمماً وأقواماً وقرى وقروناً، كانوا أشد قوة وأطول أعماراً وأرغد عيشاً وأكثر أموالاً، فاستأصلهم وأبادهم ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (٣) وما ذاك والله إلا بسبب الذنوب والآثام والخطايا والأوزار، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ (٤) ، وقال تعالى بعد أن ذكر جمعاً من الأمم التي عصت وعتت وأذنت

(١) سورة النحل: ٤٥-٤٧ .

(٢) سورة الأعراف: ٩٧-٩٩ .

(٣) سورة الدخان: ٢٥-٢٩ .

(٤) سورة الطلاق: ٨-٩ .

وَكَذَّبَتْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١).

لهذا المعنى قال ابن القيم -رحمه الله- كلاماً طويلاً، منه قوله رحمه الله: "وهل في الدنيا والآخرة شرٌّ وداءٌ إلا سببه الذنوب والمعاصي، وما الذي غرق أهل الأرض كلهم حتى بلغ الماء فوق رؤوس الجبال، وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قُطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم، وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً، وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد"^(٢).

أيها المؤمنون! لم يجز ما جرى لهؤلاء إلا بسبب الذنوب والآثام، وهذه سنة الله في كل من عصاه وخالف أمره و تنكب عن صراطه، وهجر هدايه وهي لا تتغير ولا تتبدل.

فسننُ الله الدينية الشرعية مطردة منضبطة، لا تتغيرُ فما وقع من العذاب للأمم السابقة يقع لكل أمة شابهتها في كل عصرٍ ومصرٍ، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا

(١) سورة العنكبوت: ٤٠.

(٢) الجواب الكافي (٤٣).

سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿١﴾
سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴿١﴾

amosleh.com (١) سورة فاطر: ٤٣.

الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من الذنوب والآثام ما هو سببٌ لحلول العقاب والعذاب العام، فمن ذلك ما أخرجه ابن ماجه والحاكم بسندٍ لا بأس به من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ حَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا ، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَابِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ ، وَشِدَّةِ الْمُؤُونَةِ ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَحَيَّرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ»^(١).

أيها المؤمنون.

إن من أسباب نزول البلاء وحلول الهلاك ظهور الربا، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «الربا ثلاثٌ وسبعون شعبةً، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) وأبو نعيم (٣٣٣/٨) ، والحاكم (٥٨٣/٤) ح (٨٦٢٣) وقال : "

صحيح الإسناد".

الرَّبِّا الاستطالَّةُ في عرضِ الرجلِ المسلمِ^(١) .

وقد تهَدَّدَ اللهُ تعالى أهلَ الرِّبَا وتوعَّدَهُم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢) ، فقد آذَنَ اللهُ تعالى المَرايينَ المِصرِّينَ بالحربِ، فيالها من عقوبةٍ عظيمةٍ، لا تقومُ لها الجبالُ الرَّواصي .

وقد جعلَ اللهُ تعالى أكلَ الرِّبَا سبباً لتحريمِ الطَّيباتِ، فقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً * وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدِ هُمُوهَا عَنْهُ﴾^(٣) .

وفي "مسندِ الإمامِ أحمد" من حديثِ عمرو بنِ العاصِ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهُ صلى اللهُ عليه وسلم: «ما من قومٍ يظهرُ فيهمُ الرِّبَا إلا أخذوا بالسَّنة»^(٤) ؛أي: الجَدْبُ والقَحْطُ .
فاتقوا اللهُ أيها المؤمنون ولا تأكلوا الرِّبَا أضعافاً مضاعفةً .

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢|٤٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال الحاكم : "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه "

(٢) سورة البقرة: ٢٧٨-٢٧٩ .

(٣) سورة النساء: ١٦٠-١٦١ .

(٤) "مسند أحمد" (٧٣٦٧) .

أيها المؤمنون.

ومن أسباب نزول العقوبات الشُّحُّ الذي بُلِّيت به كثيرٌ من النفوس، فحملتهم على أخذِ الأشياءِ من غيرِ حِلِّها، ومنع ما أوجبَ اللهُ عليها من الحقوق، وحقائقُ الشُّحِّ تشوُّقُ النفسِ إلى ما حَرَّمَ اللهُ وَمَنَعَ، فلا يقنعُ المرءُ بما أحلَّ اللهُ له من مالٍ أو نكاحٍ أو نصيبٍ، فيتعدَّى إلى ما حَرَّمَ اللهُ تعالى، وقد حذَّرَ اللهُ من الشُّحِّ، فقال: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

وفي "صحيح مسلم" من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الشُّحَّ، فإن الشُّحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»^(٢).

نعوذ بالله من معصيته وغبه وسوء عاقبته.

(١) سورة التغاين: ١٦.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).